

تفسير البحر المحيط

@ 389 @ كلام الرؤساء المتبوعين . { قَالُوا } أي الفوج : { لَا مَرْحَبًا بِكُمْ } ،
رد على الرؤساء ما دعوا به عليهم . ثم ذكروا أن ما وقعوا فيه من العذاب وصلى النار ،
إنما هو بما ألقيتم إلينا وزينتموه من الكفر ، فكأنكم قدمتم لنا العذاب أو الصلى .
وإذا كان { لَا مَرْحَبًا بِهِمْ } من كلام الخزنة ، فلم يجيء التركيب : قالوا : بل هؤلاء
لا مرحباً بهم ، بل جاء بخطاب الأتباع للرؤساء ، لتكون المواجهة لمن كانوا لا يقدرّون على
مواجهتهم في الدنيا بقبیح أشقى لصدورهم ، حيث تسبوا في كفرهم ، وأنكى للرؤساء . {
فَبَيَّنُّوْهُمُ الْقِرَارُ } : أي النار ؛ وهذه المرادة والدعاء كقوله : { كَلِّمْنَا دَخَلَاتِ
أُمَمَةٍ لِّلْعَذَابِ أَخَذْتَهُنَّ } . ولم يكتف الأتباع برد الدعاء على رؤسائهم ، ولا
بمواجهتهم بقوله : { أَنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ لَنَا } ، حتى سألوا من أن يزيد
رؤساءهم ضعفاءً من النار ، والمعنى : من جملنا على عمل السوء حتى صار جزاءنا النار ، {
فَزِدَّهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا } ، كما جاء في قول الأتباع : { رَبِّ زِدْنَاهُمْ } ، أي
بمعاداتهم ، { ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ } ، { رَبِّ زِدْنَاهُمْ هَؤُلَاءِ * أَضَلَّوْا * قَالِ
ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ } . .

ولما كان الرؤساء ضللاً في أنفسهم وأضلوا اتباعهم ، ناسب أن يدعو عليهم بأن يزيدهم
ضعفاءً ، كما جاء : فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، فعلى هذا الضمير في
قوله : { قَالُوا } للاتباع ، ومن قدم : هم الرؤساء . وقال ابن السائب : { قَالُوا }
رَبِّ زِدْنَاهُمْ إلى آخره ، قول جميع أهل النار . وقال الضحاك : { مَن قَدْ سَمِعَ } ، هو إبليس
وقابيل . وقال ابن مسعود : الضعف حيات وعقارب . { وَقَالُوا } : أي أشراف الكفار ، {
مَا لَنَا لَا نَرَى رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ } : أي الأردال الذين
لا خير فيهم ، وليسوا على ديننا ، كما قال : { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا }
الَّذِينَ هُمْ أَزْدِلُنَا } . وروي أن القائلين من كفار عصر الرسول / صلى الله عليه وسلم) ، هم : أبو جهل ، وأمّية بن خلف ، وأصحاب القلب ، والذين لم يروهم : عمار ،
وصهيب ، وسلمان ، ومن جرى مجراهم ، قاله مجاهد وغيره . قيل : يسألون أين عمار ؟ أين
صهيب ؟ أين فلان ؟ يعدون ضعفاء المسلمين فيقال لهم : أولئك في الفردوس . وقرأ النحويان
، وحمزة : أين صهيب ؟ أين فلان ؟ يعدون ضعفاء المسلمين فيقال لهم : أولئك في الفردوس .
وقرأ النحويان ، وحمزة : اتخذناهم وصلاً ، فقال أبو حاتم ، والزمخشري ، وابن عطية : صفة
لرجال . قال الزمخشري : مثل قوله : { كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ } . وقال ابن

الأنباري : حال ، أي وقد اتخذناهم . وقرأ أبو جعفر ، والأعرج ، والحسن ، وقتادة ، وباقي السبعة : بهمزة الاستفهام ، لتقرير أنفسهم على هذا ، على جهة التوبيخ لها . والأسف ، أي اتخذناهم سخرىً ، ولم يكونوا كذلك . وقرأ عبد الله ، وأصحابه ، ومجاهد ، والضحاك ، وأبو جعفر ، وشيبة ، والأعرج ، ونافع ، وحمزة ، والكسائي : سخرىً ، بضم السين ، ومعناها : من السخرة والاستخدام . وقرأ الحسن ، وأبو رجاء ، وعيسى ، وابن محيصن ، وباقي السبعة : بكسر السين ، ومعناها : المشهور من السخر ، وهو الهزء . قال الشاعر : % (إني أتاني لسان لا أسر بها % .

من علو لا كذب فيها ولا سخر .

%.)

وقيل : بكسر السين من التسخير . وأم إن كان اتخذناهم استفهاماً إما مصرحاً بهمزته كقراءة من قرأ كذلك ، أو مؤولاً بالاستفهام ، وحذفت الهمزة للدلالة . فالظاهر أنها متصلة لتقدم الهمزة ، والمعنى : أي الفعلين فعلنا بهم ، الاستسخر منهم أم ازدراؤهم وتحقيرهم ؟ وإن أبصارنا كانت تعلوا عنهم وتقتحم . ويكون استفهاماً على معنى الإنكار على أنفسهم ، للاستسخر والزيغ جميعاً . وقال الحسن : كل ذلك قد فعلوا ، اتخذوهم سخرىً ، وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم . وأن اتخذناهم ليس استفهاماً ، فأم منقطعة ، ويجوز أن تكون منقطعة أيضاً مع تقدم الاستفهام ، يكون كقولك : أزيد عندك أم عندك عمرو ؟ واستفهمت عن زيد ، ثم أضربت عن ذلك واستفهمت عن عمرو ، فالتقدير : بل أزاغت عنهم الأبصار . ويجوز